ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

حرب العقيدة والوجود.. إيران و«إسرائيل» في صدام الأيديولوجيات

محمد حسين

صراع لا تسوية فيه، في قلب غرب آسيا (الشرق الأوسط)، لا يدور الصراع بين إيران و«إسرائيل» على حدود سياسية أو مصالح اقتصادية عابرة، بل يتخذ طابعًا أيديولوجيًا وجوديًا يجعل من التسويّة أمرًا مستحيلاً. إذ كل طرف لا يكتفي بالسعي إلى إضعاف الآخر، يعمل أيضًا على إزالته من الوجود، انطلاقًا من قناعة راسخة بأن بقاء العدو هو نفي للذات ومشروعها. هذا الصراع ليس عاديًا، هو مواجهة وجودية وجذرية بين مشروعين متناقضين.

أولًا- إيران دولة العقيدة والمشروع الإلهي

منذ انتصار الثورة الإسلامية، في العام ١٩٧٩، نشأت الجمهورية الإسلامية الإيرانية على أساس عقدي متين يتمثل بـ«ولاية الفقيه»، والتي تمنح الفقيه الجامع للشرائط قيادة الأمة الإسلامية. ولا يُنظر إلى هذا القائد على أنه زعيم ديني فحسب، هو يُعدّ امتدادًا للإمامة الشرعيّة وممثلًا للإمام المهدي (عج) الغائب. من هذا المنطلق، تُفهم الحرب أنها جهاد في سبيل اللّه، والنصر فيها نصرٌ إلهي، والهزيمة ابتلاء وامتحان، والشهادة فوز أبدي. المقاتل لا يخوض الحرب من أجل مكسب دنيوي أو حدود، بل لتحقيق وعد إلهي واستكمال لمشروع العدل الذي سيتحقق بقيادة الإمام المنتظر(عج).

ثانيًا- الشعب الإيراني بين العقيدة والهوية

معظم المجتمع الإيراني يتميز بتديّنه الإسلامي؛ ويضم أيضًا تيارات علمانية وإصلاحية، مع هذا التنوع يتوحد الإيرانيون، بصرف النظر عن خلفياتهم، للدفاع عن السيادة والكرامة القومية. ويرون في «إسرائيل» تهديدًا وجوديًا للأمن القومي. هذا الانسجام، بين البعدين العقدي والوطني، يُعزّز قدرة إيران في مواجهة التحديات، حيث لا تنحصر دوافع الدفاع في حاضنة دينية وحسب؛ إنّما هي راسخة في وعي الإيراني رسوخًا يقدس السيادة والكرامة. وفي لحظات التهديد، تنكمش التباينات السياسية، فيتحوّل الداخل الإيراني إلى كتلة صلبة تتماهى مع خطاب الدولة خلف عباءة الولي الفقيه، ما يمنحها قوة صمود استثنائية تقوم على ثنائية الإيمان والحس القومي المتجذّر. هذا التناغم بين الدولة والشعب يُصعّب مهمة الرهان على الانقسامات الداخلية أو الانهيار المجتمعي، كما يتوهّم بعض الخصوم.

ثالثًا- «إسرائيل» «دولة» قلقة العقيدة

نشأت «إسرائيل» على وعد ديني مغلّف بقومية علمانية، مستندة إلى أسطورة «أرض الميعاد التي منحها الرب لشعبه المختار»، وفقًا للسردية التوراتية المحرّفة. لكن هذه القاعدة العقدية لا تؤسس لوحدة داخلية؛ بل لانقسام مستمر:

١. انقسامات طبقية وعرقية ومذهبية (الأشكيناز، السفارديم، الفلاشا وغيرهم).

٢. تيارات يهودية ترفض قيام «الدولة» قبل مجيء المسيح، وأخرى علمانية ترى في «إسرائيل» مشروعًا دنيويًا صِرفًا.

٣. هيمنة نفعية تجعل من القيادة السياسية رهينة النتائج الظرفية.

كما أن «المجتمع الإسرائيلي» بطبيعته يتمسك بالحياة المادية، ويرى في الموت خسارة مأساوية، بخلاف العقيدة الإسلامية التي ترى في الموت شهادةً وطريقًا للخلود. هذا التباين يُنتج فارقًا حاسمًا في مدى الاستعداد للتضحية، وهو ما يظهر جليًا في الحروب الطويلة أو العمليات النوعية التي تُحدث صدمة نفسية حادة في الداخل «الإسرائيلي».

رابعًا- الحرب بين الخلود والزوال

الصراع في جوهره هو مواجهة بين مشروعين:

١. مشروع إيماني راسخ، يرى كل قطرة دم في المعركة خطوة نحو النصر الإلهي.

٢. مشروع دنيوي هش، يخشى الانهيار إذا تعرّض إلى أدنى زعزعة في الأمن أو الاقتصاد.

إيران تعدّ «إسرائيل» غدة سرطانية يجب اقتلاعها، بينما ترى «إسرائيل» في إيران تهديدًا وجوديًا لا يمكن التعايش معه. ولذلك؛ لا تتوقف محاولات محاصرة الكيان ومن يدعمه لإيران، سياسيًا وأمنيًا واقتصاديًا، لأن المعركة لا تُخاض على حدود إيران؛ هي في ساحات متعددة من لبنان إلى اليمن.

خامسًا- أدوات الحرب الأيديولوجية

يتجلى هذا الصراع في ميادين عدة:

١. الإعلام: تبث إيران خطابًا عقديًا تعبويًا، وتدعم حركات المقاومة، بينما تعتمد «إسرائيل» على ماكينة دعائية هائلة مدعومة غربيًا لشيطنة خصومها ووصمهم بالإرهاب.

٢. التحالفات: تبني إيران محورًا إقليميًا عقديًا، من طهران إلى غزة، في حين تعتمد «إسرائيل» على تحالفات مع أنظمة استبدادية وعلى الدعم الغربي، لا سيما من الولايات المتحدة و«الناتو».

٣. الميدان: من لبنان إلى سوريا وفلسطين، تتجلى الحرب صدامًا مباشرًا بين العقيدتين، حيث تتحول الجبهات إلى مختبر للصبر والتضحية من جهة، وللهشاشة النفسية من جهة مقابلة.

سادسًا- القدرة في تحمّل الخسائر اقتصاد العقيدة مقابل هشاشة الرفاه

الفرق الأكثر حساسية يتمثل بقابلية المجتمعات لتحمّل الكلفة:

١. إيران، اعتادت العقوبات ولديها منظومة روحية ومجتمعية ترى في الصبر الاقتصادي عبادة، وفي التضحية وسيلة للفتح الإلهي، ما يجعلها تمتلك قدرة نفسية مؤسسة على امتصاص الصدمات.

٢. "إسرائيل"، أسست على نموذج رفاهي غربي، ومعظم المستوطنين قدِموا من أوروبا بحثًا عن حياة مريحة، لا عن مشروع ديني أو عقدي؛ فأي تراجع في مستوى المعيشة نتيجة الحروب وضرب البنية التحتية، أو إغلاق المجال الجوي، يُترجم إلى أزمة وجودية.

مع مرور الوقت واشتداد الضربات الاقتصادية والعسكرية، تطرح شرائح واسعة من «الإسرائيليين» تساؤلات جدّية: لماذا نبقى؟ هل هذا هو الوطن الموعود «جنة الأرض»؟ هل يستحق هذا الكيان هذه التضحيات كلها؟

في المقابل، تُقابل هذه التساؤلات في الجانب الإيراني بعقيدة تزداد صلابة كلما اشتدت المحنة، وتحوّل الشدة إلى مصدر تعبئة وتحفيز.

خاتمة- سقوط المشروع الهش وانتصار العقيدة الراسخة

التحليل الواقعي والمعطيات الاستراتيجية يشيران بوضوح إلى أن ميزان الصراع يميل إلى المشروع العقدي:

١. إيران تمتلك بنية روحية ومادية تستطيع التكيّف مع الأزمات، تقاتل برؤية إلهية شاملة تتجاوز اللحظة.

٢. "إسرائيل» كيان محكوم بالتناقضات، هشّ أمام الضغوط، وتقوم أسسه على وعود دنيوية متراجعة.

لقد لخّص شهيد الأمة السيد حسن نصر اللّه -قدس سره- هذه الحقيقة بقوله المستند إلى القرآن الكريم: «إسرائيل هذه أوهن من بيت العنكبوت".

هذا ليس تشبيهًا؛ هو توصيف علمي وديني واستراتيجي لكيان تفقد عناصره تماسكها أمام أول عاصفة جدّية.

ومع تراكم المؤشرات الميدانية والاجتماعية والاقتصادية، تتجّه المعادلة التاريخية نحو حسم واضح:

١. المشروع الصهيوني يسير نحو التفكك والتراجع.

٢. المشروع الإلهي المستند إلى عقيدة راسخة وتضحيات جليلة يتقدم بثبات.

إذا كانت النهايات تُحسم بميزان التحمّل وثبات العقيدة، فإن كيانًا يُقاتل من أجل الرفاه لا يستطيع الصمود طويلًا أمام أمة تُقاتل من أجل الخلود.

الوعد الصادق ومصير شبكات التجسس الاسرائيلية في ايران

علاء الرضائي

المجتمع الايراني مجتمع متعدد القوميات والاعراق، الى جانب ان ايران دولة مترامية‌الاطراف اغلب جغرافيتها او مساحات شاسعة منها غير مسكون او ذا كثافة سكانية قليلة، مع انتشار للصحاري وكثافة للغابات ووجود سلاسل جبلية كبيرة ووعرة.

يضاف الى كل ذلك طبيعة الحياة الايرانية والعلاقة بين المدن الكبيرة والارياف، من مساكن في المدن وفلل ومزارع على اطرافها وفي حواشيها وقراها.

هذه الحالة وماطرأ عليها من هجرة كثيرين من الاطراف الى المدن الكبرى كعمال ومزارعين ووجود تجمعات مهاجرة (حتى من خارج ايران) كالافغان بالتحديد، وما يضاف اليها من تساهل الأمن معهم بأعتبارهم أناس فقراء وكادحين، ادى الى«عشعشة» بعض العناصر المتآمرة والخائنة والإنفصالية في اطراف المدن الكبرى، حتى وصل الأمر الى اقامة ورشات صناعة مسيرات واختيار مواقع اطلاق المقذوفات من على أسطح البيوت او المرتفعات خارج المدن.

ولعل المتابع يستغرب من عدد الذين يلقى القبض عليهم اليوم بتهمة العمالة والتجسس لصالح الكيان الاسرائيلي، في حين اننا لو دققنا في الأمر سنجد ان القضية غير مستغربة في سياقاتها القائمة مع وجود حوالى ١٠٠ مليون انسان او اكثر يعيشون على الارض الايرانية بينهم بضعة ملايين من جنسيات أخرى.

أضف الى ذلك أن ملف المعارضة الايرانية بكل تفاصيله من التنظيمات الملكية واليسارية الى الانفصالية تم تسليمه امريكياً وبريطانيًا وسعودياً الى الموساد الاسرائيلي، وحتى الذي لا يزال بيد اجهزة المخابرات الاخرى، الدولية والاقليمية (ومنها العربية) فهو ينسق مع الموساد، وبالتالي فأن هؤلاء الذين يلقى القبض عليهم عناصر إنفصالية تعمل مع الموساد الاسرائيلي.. وفيهم الكوردي والعربي والبلوشي والفارسي (من الملكيين وجماعة رجوي وبعض الاحزاب اليسارية) وهؤلاء على حدّ زعمهم هدفهم اسقاط النظام الاسلامي ليقيم كل منهم «دولته المستقلة» والتي تتداخل حدودها احياناً مع رفاقهم في الخيانة من القوميات الاخرى!

اما سهولة القاء القبض عليهم، فالأمر يعود لسببين:

١. لدى الأمن الايراني اشراف واسع على المجموعات المناوئة والانفصالية.

٢. التعاون الشعبي المذهل، حتى ان بعض ابناء العشائر العربية أقاموا بانفسهم وبالتعاون مع قوى الأمن الداخلي نقاط سيطرة وتفتيش.

"ان اعادة ترتيب المخازن والبساتين والمنتجعات الشخصية اطراف المدن بإمكانه ان يحدّ كثيرا من عمل أجهزة المخابرات الاجنبية واختراقاتها.

يضاف الى كل ذلك، قطع أسباب ارتماء ضعاف النفوس في احضان دولة اخرى، لاسباب اقتصادية، مذهبية، سياسية واجتماعية.

الى ذلك، فأن المتابع لما تنشره القوى الانفصالية العميلة خلال الفترة الذي سبقت العدوان الصهيوني على الجمهورية الاسلامية وحتى ما بعد النهاية العدوان، يصل الى بعض النتائج ومنها:

١- ان هذه القوى ليس لديها اي مشروع «بديل» للجمهورية الاسلامية وانها ربطت نفسها بأجهزة المخابرات العالمية والاقليمية فحولت من تزعم أنهم «مناضليها» الى مجرد مرتزقة يقومون بعملية احتضان الجواسيس وعناصر الموساد والMI ٦ و CIA، لتنفيذ عملية قتل ضد دورية شرطة و شرطة المرور او حمل معدات الجاسوسية والسلاح عبر الحدود مع البلدان الأخرى او داخل ايران.

٢- كانت هذه القوى العميلة تتصور ان العدوان سيقضى على الجمهورية الاسلامية وانها ستحط في مطار طهران بعد يومين او ثلاثة من انطلاقة العدوان! لكن أملها خاب وأصيبت بنوبة يأس شديدة، أفقدتها ما تبقى لها من عناصر وحلفاء.

٣- هناك خلافات عميقة وتراشق بين جميع اصناف المعارضة والقوى الانفصالية، يصل الى حدّ السباب ولربما الاقتتال والتآمر، فلا الملكي يقبل بالجمهوري، ولا انفصالي مُعترَف به من قبل القوى الداعمة للمركزية.

اضافة الى الخلافات العميقة داخل كل واحدة من هذه المصنفات والمسميات.

٤-فقدان هذه القوى للقواعد الجماهيرية، خاصة بعد تعرض البلاد للعدوان ونجاح الخطاب الاعلامي الايراني في حشد جميع ابناء الشعب خلف القيادة.

٥- الضربة التي طالت عملاء الموساد في داخل ايران، كانت في الحقيقة موجهة بالدرجة الاولى الى القوى الانفصالية وسائر العملاء من ملكيين وجماعة خلق المنافقة، لأن هذه القوى هي التي تقدم الدعم للموساد مقابل المال والدعم السياسي والاعلامي.

٦- وباستثناء إعلام الكراهية الطائفي الذي تبثه هذه القوى العميلة ضد اتباع مذهب اهل البيت(عليهم السلام) بسبب بعض الممارسات غير المنضبطة في عاشوراء، فأن هذه القوى ليس لديها اي شيء تقوله لعناصرها والعالم، سوى انها كـ«الشحات» أو «المتكدي» ينتظر ان يتفضل عليه الامريكي والصهيوني بعدوان على الجمهورية الاسلامية، غافلين من ان الأمريكي والاوروبي والصهيوني له حساباته الخاصة التي لا تأخذه وسائر الخونة والعملاء في الحسبان.

٧- يضاف الى ذلك التخبط الصهيوني في تسويق العملاء، ففي حين يسوق أحد عملاء الموساد المعروفين رضا بهلوي نجل شاه ايران المقبور، يقوم آخر بالتسويق للقوى الانفصالية، علما ان بين الملكيين والانفصاليين حرب طاحنة اشد من حرب الملكيين مع جماعة خلق (المعروفين بالمنافقين في ايران)، وقد تجلت بعض اوجه هذا التطاحن الى اشتباكات بين مؤيديهم في اوروبا.

٨- والأمرّ (من المرارة) على بعض القوى الانفصالية العميلة، خاصة مايعرف بـ«الاحوازية» التي كانت متحالفة مع صدام في حربه ضد الجمهورية الاسلامية ومن ثم تحالفت مع الانظمة والقوى التكفيرية، هو ان البلدان التي كانت تدعمها ادانت العدوان على ايران واعلنت عن عدم تعاونها مع المعتدين(ولو في ظاهر الأمر!)، وبالتالي ليس لديهم دعم شعبي ولا دعم اقليمي ولا دولي... ومن مال اللّه يا محسنين!!

كربلاء مدرسة التضحية والفداء عبر التاريخ

منير شحادة

ثورة الامام الحسين (ع) ستظل شعلةً تنتقلُ من جيل إلى جيل؛ لتكون مدرسةً لكل المستضعفين في الأرض ليثوروا على الطغاة والمتغطرسين ومع الحق ضد الباطل، وإن كان الفارق كبيرًا في ميزان القوى. هذه المدرسة أثبتت أن الدمَ ينتصر على السيف، وأن لا مكان للضعفِ والخنوع، مع ترسيخ شعار «هيهات منا الذلة".

هذه ثقافة لَن يفقهها إلّا من رضعها مع حليب الأمهات أقوال الحسين (ع)، في هذه

الملحمة، خلدها التاريخ وغيّرت مفهوم الحروب ومبادئها مع كل جيل، كان يأتي عقبت معركة الطف لتمتد إلى أيامنا هذه، والتي ستبقى مُلهِمة وتزداد توهجًا في المستقبل؛ طالما بقيت الشعوب تحيي مراسم عاشوراء وثقافتها، وتتناقلها الأجيال عبر الزمن.

"لَمْ أَخْرُجْ أَشِرًا، وَلَا بَطَرًا، وَلَا مُفْسِدًا، وَلَا ظَالِمًا، وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الإِصْلَاحِ فِي أُمَّةِ جَدِّي، أُرِيدُ أَنْ آمُرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ»؛ هو قائدٌ في ذلك الزمانَ علّمنا أنه لم يكن يسعى إلى منصب أو سلطة أو مصلحة شخصية أو يطمع بثروات الآخرين أو باحتلال أراضي الغير، إنما رأى أن الظلم والاستبداد والجور والخروج عن القيم والمبادئ أوجب خروجه لتصحيح الخلل الكبير ولتقويم سلوك البشرية؛ ولو أحجم عن ذلك سيؤدي ذلك إلى إنهاء الرسالة النبوية والعودة إلى الجاهلية.

ذلك القول علَّم الأجيال وقادتها أنه واجب على كل مسؤول أن يتحرك، ويسعى إلى الإصلاح وأن لا يخنع للإنحراف؛ «إِنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعِيِّ، قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ: بَيْنَ السِّلَّةِ وَالذِّلَّةِ، وَهَيْهَاتَ مِنَّا الذِّلَّةُ!" ..

ها هي «إسرائيل» تخيرّنا بين الاستسلام والذل أو الموت، فجاء جواب المقاومة بكلام واضح «هيهات منا الذلة». وهذا الرد هو نتاج عقيدة راسخة من هذه المدرسة الكربلائية.

«أَبِالمَوْتِ تُهَدِّدُنِي يَا ابْنَ الطُّلَقَاءِ؟! إِنَّ المَوْتَ لَنَا عَادَةٌ، وَكَرَامَتُنَا مِنَ اللَّهِ الشَّهَادَةُ.» و «إِنِّي لا أَرَى المَوْتَ إِلَّا سَعَادَةً، وَالحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَرَماً.» قالها الحسين (ع) واعتمدتها الأجيال لنصل إلى يومنا هذا، فقالت المقاومة لكل المندوبين الذين يرسلون لها رسائل العدو إنها لن ترضخ لبنود ورقة الإذعان والاستسلام التي أتى بها «السيد توم براك»، فكرامة المقاومة ومؤيديها من اللّه الشهادة.

"إِنْ كَانَ دِينُ مُحَمَّدٍ لَمْ يَسْتَقِمْ إِلَّا بِقَتْلِي، فَيَا سُيُوفُ خُذِينِي!» هذا القول الشهير الذي زُرع في عقول الأطفال وأفئدتهم منذ نعومة أظافرهم ليكبروا ويصبحوا مقاتلين وقادة، ويطبقونه من دون تردد، وليذهبوا إلى ساحات الوغى غير آبهين بقدرات العدو، مع علمهم أن سبعين ألف جندي صهيوني مدججين بمئات «الميركافا» وأضخم الأسلحة، وأحدث الطائرات الحربية والمسيّرات، واجهوا ببسالة ومنعوا تقدم هذا العدو وكبدوه خسائر فادحة، فأجبروه على طلب وقف الحرب، بعد التضحيات الكبيرة التي قدمها هؤلاء المقاومون المسلحون بعقيدة كربلاء.

أما العقيلة زينب (ع)؛ وما يحمله هذا الوصف الشريف، نظرا إلى ما تملكه من مكانة رفيعة ولشخصيتها القيادية عند أهل البيت (عليهم السلام). «العقيلة» الكريمة المصونة في أهلها، العزيزة والسيدة في قومها، ذات المكانة والفضل والنسب، اكتسبته لصفاتها الحميدة وعلمها الغزير وحكمتها في مواجهة الشدائد.

تخيل أنها حضرت معركة الطف، بكل مصائبها وما صار فيها من إجرام، ورأت سقوط رجالها الواحد تلو الآخر لتصل إلى القائد الأعلى وهو الحسين (ع)، حين رأت جسده المخضب بالدماء والطعنات شوّهته، وكيف قطع رأسه ووضع على الرماح، وعانت العطش مع كل من تبقى من النساء والأطفال، والذين أصبحت مسؤولة عنهم، حمّلوا ونقلوا على الجمال سبايا وأسيرات وأسرى، يُجَرُّون في درب طويلٍ من أرض الطف، ليصلوا بهم إلى حضرة السفاح يزيد، ولتقف أمامه..

لو أي امرأة غيرها أصيبت كما أصيبت زينب (ع) ووقفت بين يدي هذا المجرم، وبحضور عدد كبير من قادته، لكنت تراها راكعة متوسلة تنتحب وتبكي، وترجوه العفو.. لكن أخت الحسين (ع) ابنة حيدر معلّمة الدروس الكربلائية وقفت منتصبة أمامه لتقول له ما «ما رَأَيْتُ إِلَّا جَمِيلًا. كِدْ كَيْدَكَ، وَاسْعَ سَعْيَكَ، وَنَاصِبْ جُهْدَكَ، فَوَاللَّهِ لَا تَمْحُو ذِكْرَنَا، وَلَا تُمِيتُ وَحْيَنَا، وَلَا يُرْحَضُ عَنْكَ عَارُهَا. وَهَلْ رَأْيُكَ إِلَّا فَنَدٌ؟ وَأَيَّامُكَ إِلَّا عَدَدٌ؟ وَجَمْعُكَ إِلَّا بَدَدٌ؟».. لتصبح هذه المرأة أيقونة النساء الحرائر في العالم ومثالًا للمرأة الشجاعة التي ترضى بقدر اللّه وقدره.

هذا ما جعل النساء اللواتي تخرّجن، في هذه المدرسة عبر التاريخ، أن يكنّ أمهات وأخوات صابرات محتسبات على الجور والضيم، شجاعات ينزلن إلى الميادين ويتقبلن شهادة أبنائهن وإخوتهن بقناعة، كما نراهن منذ بداية الصراع مع العدو «الإسرائيلي»، وهن يقتدين بالعقيلة زينب ويصبرن كما صبرت، ويواجهن كما واجهت.

عاشوراء مدرسة التضحية ومجابهة الظلم والجور، والتي أثبتت أن الدم ينتصر على السيف، وأن العين تقاوم المخرز.